

الإسلام فوبيا من منظور الفكر السياسي الغربي Islam Phobia from The Perspective of Western Political Thought

الباحثة تمارا الزريقات
الأردن

Abstract: The purpose of this research is to clarify the concept of the phenomenon of Islam phobia, and to explain the causes and manifestations, as well as the reasons for the intensification and clash between the Islamic world and the West under the phenomenon of Islam phobia, and tried to provide proposals for appropriate solutions to this phenomenon and insulting to address them, the research concluded that the phenomenon Phobia has emerged significantly in the international political circles, especially in the wake of political events after attacks by (Islamic) groups on civilian sites and targets in different parts of the world, and that this phenomenon is as old as the deep-rooted conflict between the followers of major religions, the researcher came to the most important conclusions: Photo Style Islam is stereotyped among Western societies in the crucible of Western interests, through political discourses and ideological writings of Orientalists, studies and research, and the use of media in all its forms, as well as the extreme right and the extreme right-wing parties under its banner, and that combating this phenomenon requires fighting terrorism in all The development of a systematic strategy to eliminate terrorism and dry up its sources, and to show the true image of Islam to the Western citizen, and to separate the true image from the stereotype drawn by Western thought starting from the media and the right P, and the development of a clear media plan to achieve it, and work to build a global public opinion shows that Islam phobia is not less than a crime of anti-Semitism in the West.

Keywords: Islam phobia, Western political thought.

الملخص: هدف هذا البحث إلى بيان مفهوم ظاهرة الإسلام فوبيا، وبيان أسبابها ومظاهرها، وكذلك بيان أسباب احتدام وقوة الصدام ما بين العالم الإسلامي والغربي في ظل ظاهرة الإسلام فوبيا، وحاول البحث تقديم مقترحات لحلول مناسبة لهذه الظاهرة وسبب التصدي لها، وخلص البحث إلى أن ظاهرة (إسلام فوبيا) قد ظهرت بشكل ملحوظ في الأوساط السياسية الدولية لا سيما في أعقاب الأحداث السياسية بعد هجمات لجماعات (إسلامية) على مواقع وأهداف مدنية في أنحاء متفرقة من العالم، وأن هذه الظاهرة قديمة قدم الصراع المتجذر بين أتباع الديانات الكبرى، وخرجت الباحثة باستنتاجات أهمها: أن الصورة النمطية للإسلام يصب تنميطها لدى المجتمعات الغربية في بوتقة المصالح الغربية، وذلك من خلال الخطابات السياسية والكتابات الأيديولوجية للمستشرقين والدراسات والبحوث، واستخدام وسائل الإعلام بصورها كافة، وكذلك اليمين المتطرف وما ينطوي تحت لوائه من أحزاب يمينية متطرفة، وأن محاربة هذه الظاهرة يتطلب محاربة الإرهاب في كافة الصعد، ومنها الإرهاب الفكري، ووضع استراتيجية منهجية للقضاء على الإرهاب وتجفيف منابعه، وتبيان صورة الإسلام الصحيحة لدى المواطن الغربي، وفصل الصورة الحقيقية عن الصورة النمطية التي رسمها الفكر الغربي بدءاً من وسائل الإعلام واليمين المتطرف، ووضع خطة إعلامية واضحة المعالم لتحقيق ذلك، والعمل على بناء رأي عام عالمي يوضح بأن الإسلام فوبيا جريمة لا تقل عن معاداة السامية عند الغرب.

كلمات مفتاحية: الإسلام فوبيا، الفكر السياسي الغربي.

1. المقدمة

هناك تحديات جسام يواجهها العالم الإسلامي ولا يزال في هذا العصر والتي تركت اثر سلبياً في عرقلة انتشار رسالة الإسلام السامية وهي نشر الأمن والسلم والقيم السامية الفضلى، ولعل من أبرز تلك التي يواجهها الإسلام هو وصف الإسلام بالارهاب أو ما شاع استخدامه بمصطلح (إسلام فوبيا)، مع العلم بأن الإسلام بعيد كل البعد عن هذه الصفة، فهو دين المحبة؛ ودين التسامح، ودين الأمن والسلام؛ فقد جاء في القرآن الكريم وفي أكثر من مئة آية ما يدل على أن التسامح هو الأساس في الإسلام من خلال حرية العقيدة لغير المسلمين، وحرية العبادة وعدم الإكراه والإجبار، والتزام احترام الآخر، ولعل جميع المطالب الكبرى في العقيدة الإسلامية التي دارت حول محور الصدارة على قاعدة "الحق في الاختلاف" وجاء في سورة الأنبياء آية (107) قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ . وهذا المصطلح (إسلام فوبيا) شاع بشكل ملحوظ في الأوساط السياسية الدولية لا سيما في أعقاب الأحداث السياسية التي جاء من ضمنها عدد من هجمات لجماعات (إسلامية) على مواقع وأهداف مدنية في أنحاء متفرقة من العالم، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى الاعتقاد الخاطئ بأن هذا المصطلح اقترن بأحداث ما يعرف بالحادي عشر من سبتمبر 2001، كون أن هذا المصطلح أو هذه الظاهرة قديمة قدم الصراع المتجذر بين أتباع الديانات الكبرى، وهذا الصراع هو السبب الرئيس في ذلك، والذي انسلت منه باقي الأسباب ومنها: الإنكار اليهودي-المسيحي للإسلام ونبوته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وسنحاول في هذا البحث إلقاء الضوء على مفهوم الإسلام فوبيا وجذوره التاريخية، ومظاهر هذه الظاهرة، وكيف تعامل الفكر السياسي الغربي معها، وآليات وسبل التصدي لتلك الظاهرة.

2. مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث التعرف إلى نظرة العالم الغربي إلى الإسلام وذلك بغض النظر حول نظرة الغرب للإسلام ومعرفته كدين سماوي قائم على ما جاءت به الشريعة الإسلامية اعتماداً على القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة، ومن جهة ثانية نظرة الغرب للإسلام السياسي الذي تتبعه التيارات والأحزاب السياسية الدينية الإسلامية التي تتخذ من الإسلام منهجاً لها.

حيث تكمن مشكلة البحث في محاولة الاجابة عن الاستفسارات التالية:

- هل هنالك مفهوم واضح لظاهرة الاسلام فوبيا؟
- ما هي صور ظاهرة الإسلام فوبيا في العالم الإسلامي؟
- ما هي أسباب احتدام وقوة الصدام ما بين العالم الإسلامي والغربي في ظل ظاهرة الإسلام فوبيا؟
- ما هي الحلول المناسبة لهذه الظاهرة وسبب التصدي لها؟

3. أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف ومنها:

- (1) بيان مفهوم ظاهرة الإسلام فوبيا، وبيان أسبابها ومظاهرها.
- (2) التعرف على صور ظاهرة الإسلام فوبيا في العالم الإسلامي.
- (3) بيان أسباب احتدام وقوة الصدام ما بين العالم الإسلامي والغربي في ظل ظاهرة الإسلام فوبيا.
- (4) تقديم مقترحات لحلول مناسبة لهذه الظاهرة وسبب التصدي لها.

4. أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في ضرورة التمييز بين الإسلام كدين وبين الإسلام السياسي الذي تنتهجه بعض الجماعات الإسلامية منهجاً لها، حيث أن المواقف السياسية الغربية قد بنيت على خلط بين مفهوم الإسلام كدين وبين الإسلام السياسي الذي يسعى من ينتهجه لتحقيق مكاسب سياسية أو حزبية بالاعتماد على العنف والتطرف الذي يعدد البشرية، وكذلك تتجلى أهمية البحث في إزالة الصورة النمطية التي ارتبطت في أذهان الشعوب الغربية حول الإسلام، والتعمق في دراسة ظاهرة الإسلام فوبيا وانتشارها في المجتمعات الغربية والأسباب وراء هذا الانتشار.

5. فرضية الدراسة:

- يوجد أثر ذو دلالة احصائية بين الاسلام فوبيا ونظرة الغرب له

6. منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي في دراسة الأحداث التاريخية من خلال المعطيات التي دلت على تلك الأحداث المرتبطة بجذور ومركزات فكرية للإسلام السياسي والتي أسهمت في تشكيل صورة نمطية للإسلام من وجهة نظر الفكر السياسي الغربي، ذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع العربية والأجنبية ذات الصلة بموضوع البحث.

أولاً: مفهوم ظاهرة الإسلام فوبيا وأسبابها

1. تعريف مفهوم الإسلام فوبيا لغةً واصطلاحاً:

ظهر مصطلح الإسلام فوبيا في العقد الماضي، وقد أطلق استخدامه في العام 1996 على يد من يسمون أنفسهم (جنة المسلمين البريطانيين والفوبيا من الإسلام). ويعني المصطلح الخوف الذي لا مبرر له من الإسلام، بيد أنه يستخدم الآن ليعني (التعصب والتحيز ضد المسلمين)، وقد نال هذا المصطلح درجة من القبول اللغوي والسياسي في الفكر الغربي إلى حد قيام السكرتير العام للأمم المتحدة السابق (كوفي عنان) برئاسة مؤتمر بعنوان (مواجهة الفوبيا من الإسلام) في ديسمبر 2004، فضلاً عن إدانة قمة المجلس الأوروبي للفوبيا من الإسلام في مايو 2004 (Babees, 2005).

وهذا المصطلح مستحدث من كلمتين هما (الإسلام) و(فوبيا) ويعني الرهاب من الإسلام أو التخويف من الإسلام، وفوبيا (Phobia) كلمة لاتينية وتعني الخوف أو الهلع أو الرهاب من شيء أو مجموعة أشياء، وهو خوف غير مبرر لا شعوري يكون من أشخاص أو فكر أو مواقف أو نشاطات أو أماكن أو أجسام، فهو بذلك يعد كمرض نفسي من المفروض علاجه (البلعبي، 1995، ص 836).

وقد تناول العديد من المفكرين والباحثين بغض النظر عن خلفياتهم الفكرية والسياسية والحزبية والدينية والعرقية تعريف مفهوم الإسلام فوبيا، وهنا من الأهمية بمكان طرح ومناقشة تلك الآراء والخلفيات ووجهات النظر في تعريف المفهوم، وذلك كما يأتي:

2. تعريف مفهوم الإسلام فوبيا من وجهة نظر المفكرين المسلمين:

دأب العديد من المفكرين المسلمين إلى وضع تعريف لمفهوم الإسلام فوبيا فمنهم من عرفه بأنه: "عزل وتميز ومضايقة وعنف له جور ضد الإسلام والمسلمين وأتباعهم" (Abdus, 2008, p. 18).

وبقراءة التعريف السابق نرى أنه يشير إلى التمييز العنصري البحث ضد المسلمين في الدول التي يشكلون فيها أقلية، ويرجع ذلك لاعتناقهم الإسلام وتطبيقه كمنهج حياتي قائماً على أركان الإسلام وشريعته، ولا سيما في الدول المتقدمة من العالم وإن كان هناك تفاوت في النسب من دولة لأخرى.

وهناك من يعرف الإسلام فوبيا بأنه: "رفض الإسلام كدين وطريقة حياة ومشروع تعتمده مجموعة أو طائفة من السكان، ومشروع ثقافي كذلك، وكذلك يُنظر إليه بأنه خوف يمنع التواصل والتبادل والحوار، والذي يجعل من المسلم الشخص المسؤول عن كل عيوب المجتمع والعالم، وأن الإسلام مناقض للعقل، وأن يصطدم مع الإسهامات العلمية التي يقدمها العلم التجريبي بالتحديد" (اللهي، 2009، ص 7).

وهذا التعريف يؤكد على مبدأ رفض المجتمعات الغربية للإسلام جملةً وتفصيلاً، إن كان كدين لفئة أو طائفة من السكان أو كان كمنهج حياة في حياتهم العامة، عدا عن أي توجه فكري أو سياسي لمثل هذه الفئة، أو حتى أنشطتهم الثقافية المرتبطة بالإسلام أو عاداتهم الاجتماعية، على اعتبار أن الإنسان المسلم لا يقبل الحوار أو التواصل فيبقى منعزلاً ومثيراً للخوف والرغبة، ويتبين من التعريف أن الإسلام دين مخالف للعقل كالديان الأخرى، ولا يتقبل الإسهامات العلمية في مختلف جوانب الحياة.

وهناك تعريف آخر لمفهوم إسلام فوبيا وهو: "إن ظاهرة إسلام فوبيا تعني أن الإسلام دين إرهابي دموي، يسعى للقتل وسفك الدماء" (ميغا، 1981، ص 217).

ولعل هذا التعريف يوضح الصورة التي تسعى المجتمعات الغربية رسمها للإسلام، وإظهار العيوب في الدين الإسلامي، وهذا يرجع إلى بعض الأحكام الشرعية التي تطبقها بعض الدول الإسلامية، أو بعض الأمور العقائدية التي تميز بها المسلمون عن غيرهم، وعرض السلبيات المزعومة على أنها أنشطة معادية للإنسان والأديان الأخرى.

وفي تعريف آخر لظاهرة الإسلام فوبيا فهي: "ظاهرة قديمة جديدة، قديمة قدم الدين الإسلامي ذاته، وإن كانت قد تصاعدت ذروتها في عالم اليوم، لا سيما في بعض الدول الغربية في أعقاب التفجيرات التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من أيلول عام 2001 والتي عرفت فيما بعد بأحداث 11 سبتمبر" (غنيم، 2012، ص 3).

ويمكن القول بأن هذا التعريف يأتي في إطار شامل للتاريخ، إذ يرى البعض أن ظاهرة الإسلام فوبيا ظاهرة قديمة تعود إلى ظهور الإسلام في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وقد تفاقمت هذه الظاهرة عند الغرب وذلك بعد الفتوحات العربية في معركة اليرموك (ابن الأثير، 1997، ص 403)، وما تلاها من فتح للقسطنطينية وأجزاء واسعة من جنوب وشرق أوروبا في عهد الدولة العثمانية، وقد بلغت ذروة اشتداد أثر هذه الظاهرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من العام 2001 والتي قد أعادت إبراز ظاهرة إسلام فوبيا على طاولة الحوارات السياسية واللقاءات والحوارات الفكرية في العديد من المناسبات.

3. تعريف مفهوم إسلام فوبيا من وجهة نظر المفكرين الغربيين:

هناك انقسام بين الغرب في تعريفهم لمفهوم إسلام فوبيا؛ فهناك المتعاطف مع الإسلام والمسلمين على اعتبار أنهم من مكونات الشعوب التي ينتمون إليها، والحفاظ على حقوق الأقليات، وهناك من يعارف للوجود الإسلامي وللمسلمين على اعتبار أن الإسلام تهديداً للحضارة الغربية أو الديانة المسيحية، وهنا يمكن تبيان وجهات النظر تلك في التعريفات التالية:

4. المتعاطفين مع الإسلام والمسلمين:

عرف Samuel Huntington مفهوم الإسلام فوبيا في مؤلفه (صراع الحضارات) بأنه: "مصطلح ينطوي تحته جملة من المخاوف، وتبدأ تلك المخاوف بالفرد المسلم ولا تنتهي بالدولة المسلمة، إذ تكمن تلك المخاوف في المسافة التي تفصل بين الفرد المسلم والدولة المسلمة جملة من العقائد والتشريعات الإسلامية التي يخشاها الغرب" (هنتجتون، 1999، ص 352).

ومن خلال هذا التعريف تتضح تلك المخاوف بأنها لم تكن وليدة اللحظة الراهنة والتي تشكلت في النصف الثاني من القرن الماضي، إنما هي تعود جذورها إلى تاريخ الغرب، وقد ترافقت مع ظهور العقائد والتشريعات الإسلامية، إذ أخذ الإسلام فوبيا بالتعبير عن قيمة مفاهيمية دفاعية.

أما Stephen Shihy، فقد تبين من تعريفه بأن مفهوم الإسلام فوبيا قد نضج ليعبر عن كلية معرفية غير الغربية، فهذا المفهوم يعرفه بأنه: "تشكيل أيديولوجي جديد تم التعبير عنه باكتمال انهيار الاتحاد السوفيتي أو (منظومة ثنائية القطبية)، ولا ترجع أصوله إلى الإدارة الأمريكية بذاتها، ولا لأحد من المفكرين أو الفلاسفة، أو أي منفذ إسلامي أو مجموعة مصالح خاصة، أو مركز أبحاث، لكونهم كلهم مسؤولون بأسلوب جمعي عن نشر النمطيات الخبيثة المعادية للمسلمين لتطبيع هيمنة الإدارة الأمريكية على الأرض" (شيحي، 2012، ص 41).

5. التعريف من وجهة المنظرون لمفهوم إسلام فوبيا:

إن بعض المنظرين الغربيين قد عرّفوا ظاهرة الإسلام فوبيا على أنها: "شعور بالوطنية بسبب تعلق الشعوب الأوروبية بثقافتها الخاصة، فهي حق مشروع من الخوف من تصاعد الصحوحة الإسلامية واتجاه المسلمين إلى الاعتماد على الإسلام كمنهج حياة، ويرجع ذلك نتيجة الخوف من رفض المسلمين لقيم وثقافة الغرب التي تسعى الولايات المتحدة وحلفاؤها لعولمتها على باقي شعوب العالم" (مرسي، 2010، ص 15).

ولعل هذا التعريف يعد تعريفاً دقيقاً للفكرة التي تستند على واقع تحاول الإدارة الأمريكية فرضه على المسلمين في أمريكا نفسها وفي دول غربية أخرى، مما جعله مبرراً لخوض الحروب والصراعات السياسية مع دولة إسلامية. وفي تقريرها لعام 1996 ترى وكالة Runmead Trust أن الإسلام كتلة وحدانية معزولة، جامدة وغير مستجيبة للتغيير، وهو مميز وغريب، وليس لديه قيم وأهداف مشتركة مع ثقافات أخرى، ولا يتأثر بها، ولكنه يؤثر فيها، وهو أدنى من الغرب، وحشي وغير عقلاني، بدائي ومتحيز ضد النساء، ويتسم بالعنف والعدوانية، يدعم الإرهاب وفعال في حرب الثقافات، وهو يقوم على الأيديولوجية السياسية التي تستعمل لأهداف سياسية أو عسكرية (عمارة، د.ت، ص 63).

فهذا التعريف من وجهة من يتبناه يظهر مبررات التخوف من الإسلام بشكل جلي، وهي أن الإسلام دين شمولي ولكن تتغير مصادره الأساسية في التشريع، ولا شراكة بينه وبين الثقافات الأخرى في النزعات التحررية من الدين، بينما القول بأن الإسلام هو أدنى حضارياً من الغرب، فذلك يشير إلى أن المسلمين ينتشروا في الدول النامية التي تعاني تخلفاً حضارياً بسبب الاستعمار أو الصراعات السياسية، وهنا يكون الرحب واسع للجماعات المتطرفة في المواجهة المسلحة والأنشطة الفكرية المتشددة، وتستغلها من أجل تحقيق أهداف سياسية أو عسكرية تهدف إلى السيطرة على منطقة ما أو دولة بحد ذاتها.

وبقراءة وجهات النظر السابقة الإسلامية أو غربية في تعريف مفهوم الإسلام فوبيا نخرج إلى أن هذا المصطلح هو فكرة أشاعها الغرب من أجل خلق اصطفاة قائمة على الفصل الحدي بين المكونات المجتمعية الغربية، تستند في الأساس على الخوف من تهديد الآخر المتمثل في المسلمين في الغرب، مما ولد حالة من الكراهية للمسلمين وانتقاد سلوكهم الديني والاجتماعي، بالاعتماد على مظاهر العنف التي وقعت في بلادهم أو خارجها، وتحمل المسلمين مسؤولية تلك الأحداث على اعتبار أن الإسلام دين عنيف وحشي.

6. أسباب ظاهرة الإسلام فوبيا:

أظهرت كتابات المستشرقين الآثار التي تصور جمود الإسلام وعدم تقبله لأي تطور أو تجديد، وأنه بعيد عن مواكبة التطور، بالإضافة إلى اتسامه بمظاهر العنف والتطرف -من وجهة نظرهم-، الأمر الذي ولد نوعاً من الخوف والذعر والرهب من الإسلام في أوساط المجتمعات الإسلامية والبلاد الغربية ككل وبلاد أخرى في دول العالم، الأمر الذي عمل على تعميق مشاعر الخوف من الإسلام (قطب، 1999، ص 38).

فظاهرة الإسلام فوبيا وكغرها من الظواهر فإن لها أسباب متعددة تتفاوت في أهميتها وقوتها، أسهمت في انتشارها، وفيما يلي محاولة لاستعراض أبرز الأسباب التي يمكن أن تكون مسئولة عن إيجاد تلك الظاهرة وانتشارها:

أ. الصراع التاريخي بين الإسلام والغرب (المسيحي- اليهودي) (سليمان، 2006).
إن التفاعل المباشر للغرب مع المسلمين لعقود طويلة، سواء في سياق احتلالهم بعض الديار الإسلامية إبان ما عرف عند بعض المؤرخين بالحروب الصليبية، أو في إطار استفادتهم عن طريق رحلاتهم وطلابهم من النهضة العلمية والحضارية التي ازدهرت في كثير من مدائن العالم الإسلامي، يبدو أنه لم يكن كافياً للنجاح في تبويض الصورة القاتمة التي رسموها في أذهانهم تجاه الإسلام وأتباعه، بوصفه ديناً دموياً لا يمكن أن يقترن إلا بالعنف والتخلف والإرهاب.
ب. الجهل بالإسلام:

يعد الغرب بأنه جاهل لحقيقة الإسلام ومعناه وقيمه، إذ أنه يستقي معلوماته عن الإسلام من مصادر تفتقر في كثير من الحالات إلى الموضوعية والنزاهة والتجرد، أو الإحاطة الكافية بحقيقة الإسلام وجوهره. فالمناهج المدرسية وحتى الجامعية في العالم الغربي، ما تزال مثقلة بكم هائل من المعلومات المغلوطة والمضللة عن الإسلام، التي تعود في جذورها إلى مرجعيات قروسطية مصطبغة بروح الحروب (الصليبية)، التي تحوي الكثير من التعصب ولي أعناق الحقائق لإثبات مزاعم وافترافات قبلية عارية عن الصحة (ادوارد، 2001، ص 124).
وفي هذا السياق، يشير أحد الباحثين إلى "أن القليل من إنتاج المستشرقين الجدد، وهو كثير في حد ذاته، يذهب إلى واضعي السياسة والقرار في الغرب، بينما يذهب الكثير من إنتاجهم إلى الرأي العام عن طريق أجهزة متطورة للإعلام والدعاية ليؤكد صوراً نمطية أو يشوهها" (مطر، 2006، ص 57).

وهناك جملة من الأسباب تقف وراء جهل الغرب بالإسلام وتبنيهم صوراً نمطية مضللة عنه ومنها ما يلي (فندلي بول، 2001، لا سكوت بعد اليوم) (thamarat-printing-jeddah):

- 1- دور اللوبي اليهودي في العمل على تقديم صورة سيئة عن الإسلام والمسلمين، وتصوير الكيان الإسرائيلي على أنه دولة ضعيفة يهددها العرب والمسلمون ويهددون أمنها ووجودها.
- 2- استمرارية الحديث عن طبيعة القيم اليهودية والمسيحية السائدة في المجتمع الأمريكي، كونها تُعد بأنها أخلاق وقيم عالية مقبولة جديرة بالاتباع، مع تجنب الإشارة والحديث عن الأخلاق والقيم الإسلامية السامية، وتصويرها بشكل سلبي منفر في حال الحديث عنها، إذ غدت اليهودية والمسيحية في نظر المواطن الأمريكي والغربي أيضاً أنموذجاً للتقدم والحضارة والأخلاق، وأصبح الإسلام تعبيراً عن القوة المتخلفة والخطرة.
- 3- ربط الإسلام بالإرهاب والتعصب، وأنه يحتقر المرأة، ويفتقر إلى التسامح مع غير المسلمين، ويرفض الديمقراطية، ويدعو إلى عبادة إله -غريب وانتقائي- على حد زعمهم.
- 4- أن المجتمعات الغربية تتخوف من خطر إسلامي متصاعد كما يرون، وأنهم يشخون من الحرب الإسلامية- الغربية القادمة، ويرجع ذلك لتغذية الهيئات الصهيونية لتلك المخاوف، حتى لا يتراجع الدعم الغربي للكيان الصهيوني في فلسطين.

5- العمل على تصوير الحركات الإسلامية المتبعة للنهج الإسلامي في الإعلام الغربي لا سيما (حركات المقاومة)، على أنها حركات إرهابية متطرفة لا تحترم الديمقراطية وحقوق الإنسان، وعمل تلك الوسائل في بعض الأحيان على فبركة برامج يتم عن طريقها تضخيم دعوات بعض المسلمين إلى محاربة أمريكا و(إسرائيل) والغرب، وإخراج تلك الدعوات عن سياقها الأصلي.

. تضارب المصالح واختلاف المنطلقات القيمية:

إن معرفة الكثيرين لا سيما الغرب بالإسلام لم تحل دون الخوف منه ومناهضته، بل وأنه يمكن القول أن تلك المعرفة قد كانت تعد المدخل الرئيس لاتخاذ موقف سلبي من الإسلام إذ تقوم هذه الرؤية على تدمير معادل التظالم بين البشر، ونشر قيم العدالة والأخوة والمساواة والفضيلة فيما بينهم، وهذا قد انسحب الحال نفسه على كثير من زعماء قريش والعرب في بداية الدعوة الإسلامية، فقد رفضوا اتباع الرسالة المحمدية، ليس من منطلق عدم تصديقها، بل من باب الاستكبار والحرص على مكتسبات الزعامة ورفض النزول عنها. (البيهي، 1985، ص 207).
فالمنطق ذاته قد ينطبق على الحالة الغربية اليوم في نظرتها للإسلام، فمن المعروف بأن الغرب يتبنى الكثير من السلوكيات الخاصة به، تلك السلوكيات والتي ترتبط في كثير منها بالنظام الرأسمالي ومبادئه البراغماتية الساعية إلى تعظيم الربح واللذة والمنفعة الخاصة على حساب الدين، وتدخل في الوقت نفسه ضمن دائرة الحريات

الاجتماعية والاقتصادية المعترف بها هناك من قبيل: حرية المقامرة، وتناول الكحول، والاشتغال بالربا، وجعل ممارسة البغاء والعلاقات الجنسية المثلية مشروعة قانونياً، وعليه تتداخل التعارضات المصلحية والحضارية لترسيم شكل العلاقة بين الإسلام والغرب إلى حد بعيد، فبينما يمكن الإقرار إلى هذا القدر أو ذاك بأن الصراع الذي يحكم علاقة العالم الغربي بالإسلام يستند في جزء منه إلى اختلافات حضارية عميقة ضاربة بجذورها في التاريخ، كما تزعم نظرية (صراع الحضارات) الشهيرة لصاحبها المنظر الأمريكي (Samuel Huntington)، فإنه من الممكن القول كذلك: إن جزءاً هاماً من ذلك الصراع يركز إلى تضارب المصالح بين الإسلام والغرب، بحيث يبدو هذا الأخير على درجة من الاستعداد للقبول بإسلام (معتدل) يضمن مصالحه السياسية والاقتصادية ولا يشكل تهديداً لها (Gerges, 1999). (fawaz).

د. الخلط بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين:

لا يخفى على أحد أن الأمة الإسلامية كانت وما زالت تعاني ومنذ قرون عدة واقعاً مأزوماً على مختلف الأصعدة والمستويات إن كانت: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ وهو ما ينعكس في وقوف تلك الأمة في ذيل سائر أمم الدنيا على صعيد الإسهام الحضاري والمشاركة في ارتقاء الإنسانية وتقدمها، فعلى المستوى السياسي، عصفت الحروب والنزاعات المسلحة وما تزال تزهق بأرواح الآلاف من أبناء المجتمعات الإسلامية في كل عام، كما هي الحال في فلسطين والعراق وأفغانستان والسودان واليمن، وتبدو الدول الإسلامية أنها عاجزة عن فعل الكثير بهدف إيقاف تلك الصراعات، ولا يزال العديد من الدول الإسلامية يخضع بشكل أو بآخر لقوى أجنبية تصدر حريتها وتحد من إمكانات استقلالها الفعلي، وعلى الصعيد الاقتصادي، تشير الإحصائيات إلى أن أكثر من نصف مليار مسلم يعيشون تحت خط الفقر، وهذا يعني أن أكثر من ثلث سكان العالم الذين يعيشون تحت مستوى خط الفقر هم من أبناء العالم الإسلامي، على الرغم من كل ما تتمتع به دول ذلك العالم من ثروات بشرية وطبيعية هائلة. وفي المجال الاجتماعي، يمكن الحديث، بوجه عام، عن معاناة دول العالم الإسلامي تفاوتات طبقية صارخة تتفاقم حدتها عاماً بعد آخر، فضلاً عن تصدع بناها المؤسسية التقليدية مع العجز عن إيجاد بناءات حديثة قادرة على الإنجاز الناجح الفعال، وانحطاط مكانة المرأة، وتهميش دور الشباب، وضعف الاهتمام بالأطفال، ناهيك عن اهتزاز المنظومات القيمة وتخلخلها تحت وطأة القيم الغربية الغازية، وعلى الصعيد الثقافي، يبدو العالم الإسلامي منقطعاً بصورة شبه تامة عن الثورات المعرفية والمعلوماتية والعلمية التي يشهدها العالم، فيبدو الأقل إسهاماً في تلك الثورات، سواء على مستوى الإبداع أو التطوير، ليصبح في أفضل الحالات مستهلكاً نهماً (1).

هـ. تبني صورة نمطية سلبية للمسلمين:

بالإضافة إلى حقيقة الجهل بحقيقة الإسلام ومبادئه من قبل الغرب، فهناك مصلحة لدى الكثير من أتباع التوجهات الغربية على استغلال السلوك السيء للمسلمين للنيل منهم ومن دينهم، وبرهنة صحة الصورة النمطية المرسومة في أذهان الكثير من أبناء الغرب عن المسلمين، والتي تطورت عبر قرون طويلة، فتصور المسلمين بصورة مختلفة مثل: الجشع والنهم والغباء والسفاهة والمكر واحتقار المرأة والتكالب على الشهوات، ولعل من أولى آثار خلق صورة نمطية عن الإسلام هو دفع عوام الناس من الغرب والت لا تعرف شيئاً عن الإسلام إلى اتخاذ مواقف سلبية من الإسلام والمسلمين، إن كانوا في بلادهم أو في بلاد المسلمين، فتولدت لدى المواطن الغربي صورة سلبية مشوهة دفعته إلى التقليل من شأن الإسلام والمسلمين الذي يراهم المجتمع الغربي بأنهم أناس بدائيون عدوانيون، همهم جمع الأموال وتبذيرها على الشهوات والترف، مما دفع بالمجتمعات الغربية إلى تلافي التعامل مع المسلمين (المحجوب، 2010، ص 95). (2).

ولعل ظهور حركات الإسلام السياسي والجماعات الإسلامية كقوى مناهضة للمشروع الديمقراطي الغربي، وتمحور الصراع حول الثقافات والأديان (يوسف، 2008، ص 118). (3)، أدى هذا إلى توجه المفكرين في الغرب إلى تنميط صورة الإسلام بأنه الخطر الذي يهدد المنية التي طالما نادت بها المجتمعات الغربية (فوكومايا، 1993، ص 71). (4)، وعليه فقد اعتُبر الإسلام بأنه نظام جامد يروج للعنف ولا قدرة له على تقبل الآخر، مما دفع بالمجتمع الغربي لرفض التيارات الإسلامية في بلاده أو في البلدان الإسلامية (المحجوب، 2010، ص 96). (5). وهنا لا بد من الإشارة بأنه قد لعب الإعلام العالمي ولا سيما السينما العالمية دوراً أساسياً في ترسيخ معالم تلك الصور النمطية وتضخيمها وتعميمها، حتى غدت بمثابة الحقائق الثابتة التي لا تحتمل النقاش.

ومع تزامن ظهور مصطلح (إسلام فوبيا) في دول الغرب، ظهر هناك خطاب يميني سياسي اتسم بالتطرف الذي يسعى إلى استثمار الأوضاع السياسية في العالم لا سيما بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، فضلاً عن ذلك كان توجه هذا الخطاب المعاداة للإسلام، ورافق ذلك الخطاب تردّد في الواقع الاجتماعي الغربي في تمييزه الهوية الإسلامية للمسلمين واندماجهم في المجتمعات الغربية، هذه العوامل أسهمت بشكل كبير وفعال في تطور التوجه العنصري المعادي للمسلمين، مستفيداً في ذلك من جهل غالبية المجتمعات الغربية بالإسلام، وكذلك الخطاب الإعلام المحرض ضد الإسلام والمسلمين (Hafez, 2016, p. 16-30). ولم يكن الأمر ليتوقف فقط للإساءة للإسلام والمسلمين عبر وسائل الإعلام، بل أن الأحزاب اليمينية سعت إلى مواكبة هذا الواقع في تكريس الخوف من الإسلام وتوظيفه في دعاياتها الانتخابية، حتى أن بعضها رفع شعارات مثل: (أسلمة أوروبا) و(التهديد الإسلامي الخفي)، هذه العوامل أتاحت الفرصة أمام تلك الأحزاب المتطرفة لتدعيم خطابها السياسي والاقتصادي الضعيف بالتطرف الاجتماعي على أساس الخوف من الإسلام المُربّع، فكان من آثار هذا الخطاب زيادة العداء والكره للإسلام والمسلمين وحتى العرب (زغوني، 2014، ص 126)، وقد تدخله حرق مساجد ومقابر للمسلمين في أكثر من مناسبة، وتحول الأمر إلى ظهور جماعات إرهابية من الشباب المسيحي المتطرق التي تكن خالص العداء للإسلام والمسلمين في شوارع وأزقة المدن الأوروبية بشكل منظم ومنهجي (الحمارنة، 2006، ص 95).

كذلك كان للصراعات السياسية والعمليات الإرهابية وسيطرة تنظيم داعش على مساحات واسعة في العراق وسوريا، أثر في تدفق موجات كبيرة من اللاجئين من تلك الدول عبر تركيا مطلع القرن الحادي والعشرون، مما كان له الأثر في تنظيم المظاهرات التي تتسم بالكراهية للإسلام والمسلمين من جديد، والتي كشفت عنها قرارات العديد من الدول، والتي أغلقت حدودها من اليونان ودول البلقان، وتساعد مراقبة الحدود في النمسا وسويسرا وفرنسا (الاتحاد الأوروبي، أحداث عام 2016، هيومان رايس واتش، <https://www.hrw.org/ar/world-report/country-chapters/2017/298825>)، وتوجهات رئيس الولايات المتحدة الأمريكية دونالد ترامب إلى منع الهجرة إلى الولايات المتحدة لبعض الدول محل النزاعات في إطار الحرب على الإرهاب المبطنة بالحرب على الإسلام والمسلمين في الغرب (برييه، نانا، 2017، قرار ترامب بحظر السفر: من هم ممنوعون من دخول الولايات المتحدة، <http://www.bbc.com/arabic/world>). ومما سبق يمكن القول بأن وسائل الإعلام الغربية والمفكرين السياسيين اليمينيين المتطرفين والأحزاب اليمينية المتطرفة على تنميط صورة الإسلام والمسلمين، وربطها بالأحداث والوقائع والأزمات الحادة التي يشهدها العالم بين المسلمين والغرب، عدا عن إضافة المزيد من التضليل والتشويه لتلك الصورة النمطية القديمة، لتحظى بترحيب كامل وتصديق تام عندما تعرض على الجماهير الغربية.

ثانياً مظاهرة ظاهرة الإسلام فوبيا وسبل التصدي لها

هناك العديد من المظاهر التي تتسم بها ظاهرة الإسلام فوبيا، ومن تلك المظاهر:

1. الإعلام المنهج في الاعتداء على الإسلام والمسلمين: حيث ظهرت ملامح هذه الظاهرة بشكل واضح في 30 أيلول من العام 2005 عندما قامت صحيفة "يولاندس-بوستن" الدنماركية بنشر 12 رسماً كاريكاتورياً للنبي محمد واقترنت هذه الرسوم بمقالة لرئيس التحرير يعرب عن دهشته واستنكاره لهالة القداسة التي يتوج بها المسلمون نبهم داعياً إلى فضح التاريخ المظلم لصاحب الرسالة الإسلامية وإبراز حقيقته إلى الرأي العام العالمي، (على حد زعمه) (الظاهر، 2007، ص 19).
2. الصور النمطية التي يتم عرضها في بلاد الغرب حول الإسلام والمسلمين: فهي تبين أنهم يتبنون فكرة التطرف والعنف والجهاد وتعدد الزوجات ونبد العلمانية ورفض التعايش والاندماج، ومن النماذج القاسية في ذلك الأمر، وهو ما أذاعته القناة الفرنسية الثانية -وهي قناة حكومية- عبر برنامج تناول مكانة المرأة في باكستان، فقد تحدث معد البرنامج عن الشريعة الإسلامية "التي تحرم على المرأة دخول عالم الدراسة، وأن المرأة في باكستان تبقى ألعوبة في يد الرجل تباع مثلما تباع البهائم".. وغير ذلك من الأباطيل المسيئة للواجب المهني والأخلاقي الإعلامي (بشاري، 2004، ص 21).
3. الشك والظن في رسالة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ونبوته (سليمان خالد، ظاهرة الإسلام فوبيا، 2006).

فقد تعرض الإسلام منذ نزول رسالته إلى الأرض على سيدان محمد صلى الله عليه وسلم إلى حملة قوية من جانب كثير من قبائل العرب واليهود وذلك من أجل محاربته وإجهاض دعوته، ووصفه بالصفات والنعوت الباطلة التي تطعن فيه على المستوى الشخصي، وترميه بالكذب والجنون والشعوذة والكهانة والسحر والاستبداد والسعي خلف الشهوات، حيث كان المستشرق التنويري الفرنسي (فولتير) قد قام بنشر كتاباً بعنوان: (التعصب أو النبي محمد)، في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي وصف فيه الرسول الكريم بأنه "منافق وخداع ومحب للملذات الجسدية ومستبد" وقبل ذلك بقرون، أي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، كانت ملحمة (الكوميديا الإلهية) لكانتيا (دانتي أليغري) قد تناولت على شخص رسول الإسلام وصورته بما لا يليق به، وهو ما كرر فعله قبل عدة سنوات الكاتب الهندي (سلمان رشدي) عندما نشر سنة 1988م روايته الشهيرة (آيات شيطانية)، التي حظيت وصاحبها وما يزالان بدعم الغرب وحمائته وتكريمه، بدعوى الانتصار لحرية التعبير.

وتأتي الرسومات الكاريكاتورية التي نشرتها صحيفة (يولاندز بوسطن) الدنماركية في الثلاثين من شهر أيلول عام 2006، لتضاف إلى قائمة الإساءات المتعمدة ضد الإسلام ورموزه (فهمي، 2006، العدد 9913).

4. زراعة الفتن والنزاعات بين المسلمين:

حرصت الدول الاستعمارية الغربية منذ القدم على تسليط الأضواء على مواطن الاختلاف القائم على أسس دينية في بلاد العالم الإسلامي، وعملت على تضخيمها وتطويرها إلى مستوى الخلافات والنزاعات بين الدول، بهدف إثارة النزاعات والفتن والصراعات ما بين المسلمين أنفسهم من جانب، ومن جانب آخر بين المسلمين والأقليات غير المسلمة؛ وهنا نستذكر الجهود الحثيثة التي بذلتها فرنسا في أوائل القرن الماضي لتمزيق وحدة لبنان وإذكاء نار الخلافات الدينية بين أبنائه، وذلك بعد تمكن الدول الاستعمارية من تشظية المشرق العربي إلى دويلات ضعيفة عقب توقيع معاهدة سايكس بيكو عام 1916، حيث غدا لبنان مسرحاً لتوازنات دينية وطائفية هشة، أثبتت الأيام قابليتها للانحيار وتفجير الصراعات الدموية أكثر من مرة، ويكاد المسلسل ذاته يتكرر في العراق تحت هيمنة قوات الاحتلال الأمريكي. إذ يقف العراق اليوم على شفير حرب أهلية طاحنة تعصف بعشرات الأبرياء من أبنائه كل يوم، مردها الخلافات الطائفية والمذهبية، التي يسهم الاحتلال الأمريكي بتحالفاته المغرضة وتوجهاته المناحزة لبعض الفئات على حساب فئات أخرى في تأجيج اشتعالها (بجك، 2006 "ص 1-104").

وهنا فلا بد من التنبيه إلى طبيعة البرامج الأكاديمية التي تحرص الدول الغربية على إيجادها وتطويرها في الجامعات والمعاهد والمراكز الأكاديمية والبحثية، التي تركز فيها على الاختلافات المذهبية والفرق الغالية التي تزعم انتماءها للإسلام والإسلام منها بريء، وذلك في محاولة لرمي الدين الإسلامي بما ليس فيه من التناقض والانفلات والشذوذ.

5. العمل على إخضاع بلاد المسلمين للسيطرة الغربية واحتلالها:

تدعي الدول الغربية أن الحروب الصليبية على العالم الإسلامي، قد انطلقت بذريعة تحرير المدينة المقدسة، أي القدس، من أيدي المسلمين (الوثنيين) في حد زعمهم، إلا أن المجازر التي ارتكبتها الصليبيون في المدن الإسلامية خلال تلك الحملات قد لا تعكس مجرد الخوف المرضي من الإسلام؛ بل تعكس درجة متقدمة من الحقد والرغبة في الانتقام، وكان في الانتقام الدموي البشع من المسلمين ضرباً من ضروب التعويض عن الخوف المزمن منهم ومن دينهم. ويصف أحد رهبانهم أحد المجازر دون أن يخفي شماته بقوله: "حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم؛ فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرقت بعضهم في النار؛ فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداش من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا" (الوبون، غوستاف، د.ت. ص 325).

فتلك النزعة الصليبية الحاكمة تجاه الإسلام والمسلمين والمذعورة منه قد ظلت متلبسةً العالم الغربي حتى اليوم، ولعل يفسر جزءاً من الهوس الغربي والنزعة الغربية في محاربة المسلمين وإخضاعهم تحت سيطرته، فقد ظل العالم الإسلامي محط أنظار المطامع الغربية التي تقنعت خلف الرغبة في نشر رسالة المسيح وإنقاذ ذلك العالم من تخلفه وانحطاطه.

ومن أجل ذلك فكان لا بد من مواجهته بإدخال قوة بشرية غربية تتمتع بالقوة على المنطقة، بحيث تجسد قوة معادية لسكانها، وتنسجم في مصالحها مع مصالح الدول الاستعمارية الراحية لذلك الكيان المختلق، فكانت المخططات الغربية قائمة على إيجاد الكيان الصهيوني الغاصب في المنطقة العربية واحتلالها فلسطين لتكون الجسم الغريب (العويسي، 2002، ص 152).()

والشواهد كثيرة والتي تؤكد على ديمومة حضور الذهنية التي انطلقت منها الحروب الصليبية عند الكثير من المفكرين الغربيين وحتى الآن، ومن الأمثلة على ذلك: أنه عندما احتلت القوات البريطانية مدينة القدس عام 1917 بقيادة الجنرال (النبلي) الذي كان أول غربي يدخل المدينة منذ تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-، هتف (النبلي) قائلاً: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، وهناك حادثة أخرى عندما اجتاحت القوات الفرنسية مدينة دمشق بعد انتصارها في معركة ميسلون عام 1921، حيث توجه قائد القوات الفرنسية الجنرال (غورو) إلى قبر صلاح الدين الأيوبي قائلاً: "أنظر يا صلاح الدين ها قد عدنا" (الميلاد، 2005، ص 9).()

ولعل (زلة اللسان) الشهيرة للرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش) التي انزلق فيها إلى القول بأن حربه على الإرهاب بعد تفجيرات الحادي عشر من أيلول هي (حرب صليبية) مؤشراً مهماً على استيطان فكرة الحروب الصليبية في أذهان كثير من رجال السياسة في العالم الغربي، وتعبيراً عن إرث غربي قديم يتم توارثه (العكش، 2002، ص 149).())، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي شهدت بعد تلك التفجيرات استحضاراً صاعداً لتلك الفكرة.

6. ويمكن إجمال مظاهر ظاهرة الإسلام فوبيا في الآتي:

- الخطاب اليميني الغربي المتشدد والذي أذكى الشعور المعادي للإسلام والمسلمين، وكذلك أسهم في تكريس الخوف من الإسلام والمسلمين، وقد تجلى ذلك في الحملات الانتخابية للأحزاب اليمينية الغربية المتطرفة.
- استخدام وسائل الإعلام للتحريض على الإسلام من خلال التقارير الإخبارية والرسوم الكاريكاتورية المتحيزة والمقولة في قالب عنصري.

- أن المؤسسات القانونية والرسمية الغربية تسعى إلى سن قوانين وتشريعات تحت تأثير مشاعر الكراهية والعداء المتنامية للمسلمين، ولعل آخرها كان هو قرار محكمة العدل الأوروبية حول منع ارتداء الحجاب في أماكن العمل في الدول الأوروبية.

- ممارسة الأعمال العدائية الإرهابية ضد المسلمين والمساجد والمراكز، وتنظيم مظاهرات ضد هجرة المسلمين وضد الشريعة الإسلامية، ولعلنا نذكر هنا حادثة إطلاق النار على المسلمين في يوم صلاة يوم الجمعة في نيوزيلاندا في العام 2019.

7. سبل التصدي لظاهرة الإسلام فوبيا ومواجهة الفكر الغربي في التخويف من الإسلام:

في سبيل التصدي لهذه الظاهرة والتي يمكن القول بأنها أصبحت آفة استحدثها الغرب للنيل من الإسلام، وتشويه صورة المسلمين، فهناك جملة من الأمور والتي ينبغي القيام بها من أجل التصدي لهذه الظاهرة، وهي كما يلي:

أ. العمل على بث الوعي في عقول الجماهير الإسلامية:

ويكمن الهدف من ذلك في إظهار حجم الخطر والمؤامرات التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين وللأمة الإسلامية جمعاء، فعندما تتعرض الأمة الإسلامية والدين الإسلامي لهذا الكم الكبير من التحديات والمخاطر والمؤامرات نرى أن هناك الكثير من أبناء المسلمين يهيمون بقضايا ليست ذات علاقة بقضايا الأمة المصرية وينشغلون عنها، وهذا يعود بفضل الغزو الثقافي الغربي ووسائل الإعلام الغربية التي تشغل أبناء الأمة الإسلامية بمثل هذه الأمور من مسلسلات وبرامج مسابقات هابطة وغيرها، وهنا نستذكر قول الشيخ ابن باز رحمه الله "أما عن مجابهة الغزو المتمثل في الإذاعات والكتب والصحف والأقلام والتي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية فإنما يكون بالقيام بالواجبات الدينية لحماية الإسلام والمسلمين (ابن باز، 1987، ص 392).()

وهنا فإن من واجب الدعاة والعلماء أن ينهضوا في تطوير وسائل الإعلام الإسلامية المختلفة مستفيدين من مكانتهم في نفوس المجتمعات، بإيجاد وسائل إعلام عصرية متطورة يستطيع الدعاة من خلالها نقل الصورة الحقيقية للدين الإسلام ومجابهة الأفكار الهدامة التي تستهدف الإسلام كفكر ومنهج وتستهدف المسلمين كحماة للدين الإسلامي.

ب. متابعة الاهتمام بالقضايا والمشاكل المعاصرة:

هناك الكثير من القضايا العصرية المترامية والتي تشغل بال الأمة ويتخلف عنها واقع مأزوم كقضايا التعليم والبحث العلمي، والمشاكل الاقتصادية، كالفقر والبطالة، وضعف التنمية، وتردي الأحوال السياسية بما يرافقها من استبداد وتضييق للحريات، فلو انشغل العلماء والدعاة في مشاكل وهموم الأمة العصرية وفق رؤية مستنيرة، لتمخض عن ذلك تأثيرات إيجابية على الأمة الإسلامية على كافة النواحي والصعد، وهنا نستذكر قول الإمام الغزالي رحمه الله: "فلنتأمل في ذاتنا نحن المسلمين، إننا نزيد على مليار من البشر، ونسكن أرضاً تمتد بين المحيطين (الهادي والأطلسي)، ولدينا معازل الممرات العالمية، ونملك ثلث ثروات العالم السائلة والجافة، وهذه إمكانيات تجعل منا أمة طليعة لا أمة ذنبا، فقد كان سلفنا أقل، وأفقر، فنجحوا وسادوا" (الغزالي، 1995، ص 10). (ج).

ج. الإعداد الجيد للمجتمعات الإسلامية على كافة الصعد:

فمن الواجب على الدول الإسلامية أن تتحصن بكافة أنواع القوى المعاصرة، وأن تكون متدرعة بشتى الوسائل المادية والعسكرية التي تحفظ لها هيبتها وتمنحها قوة ردع أمام قوى الاستعمار والاستكبار، والقوة المطلوبة لا تتوقف على القوة العسكرية بل تتناول كافة الجوانب الأخرى التي تكفل أن يعيش المسلمون في ظل دولة لها إسهاماتها المعنوية والحضارية، فلا بد أن تهتم الدولة الإسلامية بقضايا الحياة الأخرى، كالبحث العلمي، ووسائل التكنولوجيا المعاصرة، لأن المتابع لأحوال الدول الإسلامية في واقعنا المعاصر يكتشف أن القوة أصبحت اليوم لا تقتصر على امتلاك القنابل والصواريخ بل وعلى الاقتصاد والثقافة كذلك (الشوكاني، 1999، ص 344). (د).

هـ. العمل على توفير سبل الدعوة إلى الله:

إن المتابع لواقع ما تنفقه بعض الحكومات الإسلامية على برامج السفور، والأفلام والمسلسلات وأدب الفراش، وغيرها لبراهها كبيرة، فماذا لو أنفقت هذه الأموال على غايات سامية نبيلة؛ على طلبة العلم، والبرامج التي تخدم الأمة الإسلامية، فهنا لا بد من إيجاد برامج فكرية وتربوية تسعى لتحسين الشعوب العربية والإسلامية لمواجهة النظرة العليائية التي تمكن الغرب منها وتواصلت في بناء أفكاره، لأن المخاطر المحدقة بالثقافة والحضارة الإسلامية كبيرة، وما ينتظر الأنظمة الإسلامية والعربية والحركات في العالمين العربي والإسلامي أكبر بكثير مما هو متوقع، وهذا قد يجعل من مواجهة ظاهرة الإسلام فوبيا ضرورة لا مناص منها، ومبعث على التحسب الذي قد يتأتى عن طبيعة القوى التي تقف وراءها ومعاداتها الصريحة والعلنية للأمة الإسلامية والمسلمين (الهزايمة، 2010، ص 126). (هـ).

ونقترح من أجل مواجهة ظاهرة الإسلام فوبيا ما يلي:

- 1- لا بد من محاربة الإرهاب في كافة الصعد، ومنها الإرهاب الفكري، ووضع استراتيجية منهجية للقضاء على الإرهاب وتجفيف منابعه، منعاً لاستغلال الإرهاب لمحاربة الإسلام، ودحضاً للازدواجية الغربية في محاربة الإرهاب.
- 2- تبيان صورة الإسلام الصحيحة لدى المواطن الغربي، وفصل الصورة الحقيقية عن الصورة النمطية التي رسمها الفكر الغربي بدءاً من وسائل الإعلام واليمين المتطرف، ووضع خطة إعلامية واضحة المعالم لتحقيق ذلك.
- 3- لا بد من دعم الاتجاهات والتي تعمل بشكل ضدي لليمين الغربي المتطرف ببيانات تظهر وتبين الحقيقة الصريحة حول الإسلام.
- 4- العمل على رعاية ومتابعة شؤون الأقليات المسلمة في الدول الغربية والضغط على الدول الغربية بهدف حمايتها وصيانة حرياتنا وحقوقها الدينية.
- 5- العمل على بناء رأي عام عالمي يوضح بأن الإسلام فوبيا جريمة لا تقل عن معاداة السامية عند الغرب.
- 6- العمل على التصدي للاتجاهات الليبرالية في تفسيرها الخاطئ للإسلام، والتي يدعمها الغرب خوفاً من الإسلام.

الخاتمة

تشكل ظاهرة الإسلام فوبيا آفة تستوجب تضافر كل الجهود الممكنة في العالم الإسلامي من أجل الخروج باستراتيجية شاملة لمواجهتها، إذ ترتقي هذه الاستراتيجية إلى مستوى تلك الظاهرة، بيد أن الخروج بتلك الاستراتيجية المنشودة يستوجب الانطلاق من صف متضامن موحد، وذلك بوجود الإقرار الفعلي من جانب المجتمعات الإسلامية بأن الإسلام يشكل الأرضية التي تنطلق منها الشعوب الإسلامية في تعريف نفسها وتحديد هويتها الحضارية، مقارنة بالهويات الحضارية الأخرى قولاً وعملاً.

ففي هذا البحث تم التطرق إلى واقع ظاهرة الإسلام فوبيا من حيث المفهوم والأسباب والمظاهر وسبل التصدي لها، إذ أن تلك الظاهرة أدت إلى تبيان وجهات النظر الغربية الإيجابية والسلبية والتي أثرت بشكل كبير في تعميق فكرة الإسلام فوبيا لدى المجتمعات الغربية، ولم يكن يوجد هذا التعميق لولا استثمار الغموض والخلط بين الأنشطة الإرهابية ومبادئ الإسلام السمحة، مما أدى إلى تنميط الصورة القاتمة المضللة للإسلام، وهذه الصورة التي يصب تنميطها عند المجتمعات الغربية في بوتقة المصالح الغربية، وذلك من خلال الخطابات السياسية والكتابات الأيديولوجية للمستشرقين والدراسات والبحوث، واستخدام وسائل الإعلام بصورها كافة، وكذلك اليمين المتطرف وما ينطوي تحت لوائه من أحزاب يمينية متطرفة.

وفي سبيل مواجهة ظاهرة (الإسلام فوبيا) الخوف من الإسلام لا بد من بعث الحياة في الجوانب الفكرية والحضارية لذلك الدين، من خلال إبراز أبعاده المشرقة وتجلياتها للعالم، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، وهذا يتطلب إن يكون هناك حاجة ملحة للتعرف إلى الإسلام، تمهيداً لتعريف العالم به.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبان (1997)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام، ط1، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (1987)، مجموعة فتاوى ومقالات، ج1، الطبعة الثانية، دار الكتب الإسلامي.
- ادوارد، سعيد (2001)، الاستشراق: المعرفة - السلطة - الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط5.
- بجك، باسيل يوسف (2006) "قراءة قانونية لمستقبل وحدة شعب العراق"، المستقبل العربي، العدد 323، كانون الثاني 2006.
- البلعبي، روجي (1995)، قاموس المورد، ط7، دار العلم للملايين، بيروت.
- البهيقي، الامام أحمد بن الحسين (1985)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، ج2، بيروت، دار الكتب الجامعية، 1985، ص207.
- الحمارنة، علاء (2006)، المسلمون في أوروبا-خريطة التمييز، تقرير اتحاد هلسنكي العالمي، عدد (1)، هلسنكي، مجلة دراسة استراتيجيات.
- زغوني، رباح (2014)، الإسلام فوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوروبا- مقارنة سوسيو ثقافية، مجلة المستقبل العربي، عدد (421)، بيروت.
- سليمان، خالد (2006) ظاهرة الإسلام فوبيا، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر، ثقافة الخوف، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 24-26 نيسان/2006.
- الشوكاني، محمد بن علي (1999)، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو عناية، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شيهي، ستيفن (2012)، الإسلام فوبيا الحملة الأيديولوجية ضد المسلمين، ترجمة: فاطمة نصر، ط1، إصدارات سطور الجديدة، القاهرة.
- الظاهر، نعيم (2007)، ظاهرة الإسلام فوبيا "الرهاب من الإسلام" كتحدى سياسي للعالم الإسلامي والحلول المقترحة لها، بحث مقدم إلى مؤتمر: "الإسلام والتحديات المعاصرة"، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، في الفترة 2-4/3/2007.
- العكش، منير (2002) حق التضحية بالآخر، أمريكا والإبادات الجماعية، بيروت، دار رياض الريس للكتب والنشر.
- عمارة، محمد (د.ت)، الإسلام في عيون غربية، بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، دار الشروق، القاهرة.
- العويس، عبدالفتاح محمد (2002) "دور بريطانيا في تأسيس الدولة اليهودية (1840-1948)، مجلة شؤون اجتماعية، العدد (75).
- الغزالي، محمد (1995)، هموم داعية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- غنيم، رائد أحمد (2012)، الخوف الغربي من الإسلام أسبابه ووسائله وآثاره، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- فهيم، هويدي (2006)، "إهانة نبي الإسلام تجدد السؤال: من يكره من؟" جريدة الشرق الأوسط، العدد 9913 كانون الثاني.
- فوكومايا، فرانسيس (1993)، نهاية التاريخ، ترجمة: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.

قطب، محمد سيد (1999)، المستشرقون والإسلام، ط1، مطبعة وهبة، القاهرة.

اللهيبي، فائز صالح (2009)، إشكالية الخوف من الإسلام (إسلام فوبيا)، بين الرؤية والواقع الإسلامي، ط1، دار النهج للدراسات والنشر، حلب.

لوبون، غوستاف (د.ت) حضارة العرب، ترجمة عادل زعير، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2.

المحجوب، بن سعيد (2010)، الإسلام والإعلام فوبيا- الإعلام الغربي والإسلام، تشويه وتخويف، دار الفكر، دمشق.

مرسي، مشري (2010)، جدلية العلاقة بين الإسلام فوبيا وحوار الحضارات، رسالة ماجستير، جامعة حسنية بن بوعلي بالشلف، كلية العلوم القانونية والإدارية، قسم العلوم السياسية، الجزائر.

مطر، جميل، حوار الحضارات. السياسي أولاً، المستقبل العربي، العدد 325 (آذار 2006).

ملكوي، أسماء (2016) "حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني للجزيرة.

ميغا، محمد بن إدريس (1981)، التقاتل بين المسلمين باسم الجهاد، ورقة علمية قدمت في مؤتمر مجلس الفقه الإسلامي، الدورة الحادية والعشرون، مكة، المملكة العربية السعودية.

الميلاد، زكي (2005) نحن والعالم: من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم، الرياض: مؤسسة الإمامة الصحفية.

الهزيمية، محمد عواض (2010)، النزعة الاستعلائية في الفكر الغربية، ط1، دار الرسالة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

هنتجتون، صمويل (1999)، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشيايب، ط2، شركة سطور للنشر، القاهرة.

وكالة رونميد تروست هي وكالة بحثية بريطانية تعنى بظاهرة الإسلام فوبيا والمسلمين البريطانيين، وقد أصدرت تقريرها عام 1996 الذي بينت فيه وجهات نظر معادية للإسلام.

يوسف، أيمن طلال (2008)، تنميط الإسلام في التصورات الغربية بين الأصولية والفوبيا، المجلة العربية للعلوم، عدد (18)، جنين، فلسطين.

Abdus, Sattar (2008), Islam and Muslims in the Post 9/11, Modesto CA, Eagle

Danyal babees, Islamophobia , New York sun , oct2005-25-

Gerges , fawaz. America and political Islam: Clash of cultures of clash 1999 of interests?, Cambridge: Cambridge university press Enterprises

Hafez, Farid (2016), Comparing Anti- Semitism and Islam phobia, The State of Failed, Islam phobia Studies Journal, Vol; 2.

Hintington, Samuel. The clash of civilizations and the remaking of 1996 of world order , New York simon and Schuster

<http://www.bbc.com/arabic/world>

<https://www.hrw.org/ar/world-report/2017/country-chapters/298825>